الاغتراب مصطلحاً ومفهوماً

د. عبد الامير محسن ال كزار
جامعة ذي قار – كلية التربية

إن العمل ألإبداعي جزء من الثقافة ألإنسانية وقد أفلحت المشكلة ألاغترابية بأن تكون جزءا مميزا في العمل ألإبداعي ، فالدخول لعوالم مصطلح (ألاغتراب) من أصعب المهام ، لما لهذا المصطلح من مراوغة اكتسبها من طبيعته الزئبقية التي تجددت وظهرت بطرائق مختلفة عبر العصور .

ومصطلح ألاغتراب لا يزال يعاني من الغموض الذي تفرضه طبيعته ، وإن كان يعد لحد ألأن من أكثر المصطلحات تداولاً في جميع مجالات النشاط الثقافي ألأنساني.

إذن ألأغتراب ظاهرة إنسانية يمكن أن نجدها بشكل أو بأخر في مختلف النظم وثقافات المجتمعات وحيثما يوجد أفراد يحسون بتفردهم وتميز شخصياتهم ، وبالعجز أيضاً عن التجاوب مع ألاوضاع العامة السائدة في المجتمع حيث توجد نزعة عامة في ألأوساط الفكرية العلمية تربطه دائماً بالمعاني السلبية وتعده مظهراً عالمياً يهدد النسيج ألأجتماعي وسقماً يحتاج الى علاج ، لأنه يهدد الهوية والوجود وهؤلاء النخبة المتفردة يرفضون القيم العامة والشعبية التي تسود في هذه الثقافات التي تقبلها بقية أفراد المجتمع . (1)

وكنضرة تاريخية لهذا المفهوم نجد أن العرب أشاروا اليه في معاجمهم وفهموه على أنه ارتحال عن الوطن ، والبعد والهجرة هو مفهوم اجتماعي بلا شك .

ولهذا لا تكون مشكلة ألأغتراب غريبة علينا وغير مندسة الينا من ثقافة اخرى ، إذ ارتبط المفهوم باهم رواد الحركات الفكرية الذين انعكست افكارهم الثقافية والدينية على تفسير ألأغتراب فقد جاء (روسو) في القرن الثامن عشر ليطلق لفظ ألأغتراب على ذلك الشيء الذي يتمثل في ضياع ألأنسان واغترابه عن المجتمع وانفصاله عن ذاته ، بينما عمق (شيلر) تفسير هذا اللفظ بدلالة سلبية تتمثل في انفصال ألأنسان عن ذاته ، والعالم يصبح معه غير قادر على ألأنسجام لا مع العالم ولا مع نفسه .

كما انسجم (هيجل)مصطلح ألأغتراب على نحو منهجي وصل به الى أزدواجية ذات المصطلح فيرى المعنى الأيجابي الذي يتمثل في تخارج الروح وتجلية على نحو إبداعي .

مثلما يرى المعنى السلبي المتمثل في عدم قدرة الذات على التعرف على ذاتها في مخلوقاتها من ألأشياء والموضوعات ، ثم عدّ (ماركس) ألأغتراب ألأقتصادي أصلاً لجميع انواع ألأغتراب . وقد اعتقد علماء ألنفس ان الفئة المتفردة أي الفئة فئة النخبة ذات تكوين نفسي متميز لها شبكتها العصبية المختلفة فيقولون في هذا الصدد : (أنَ اعصاب البشر تحت جلودهم أما الشعراء فأعصابهم فوق جلودهم لذلك كانت أستجابتهم تحمل أكبر قدر من ألأنفعال في اللحظة الراهنة من المؤثرين : ألألم والفرح). (2)

وعلى ضوء ذلك ونحن ندرس شاعرا عربيا خليجيا أحس بألأغتراب نقول : أن النقلة الحضارية التي اصابت منطقة الشاعر (منطقة الخليج العربي) قد هزت كيان ألأنسان العربي الخليجي ، والشعراء - بلا شك هم أول من تاثروا وأصطدموا بهذا التغيير والتبديل الذي أصاب بيئتهم البدوية في تقاليدها وعاداتها البسيطة والطيبة ونظامها القبلي وهذا التغير يذكرنا بالنقلة الحضارية التي رافقت ظهور ألأسلام تلك النقلة الكبيرة والمشعة للحد الذي خلخل منظومة القيم الفكرية وألأجتماعية ، ومع إن ألأسلام كعقيدة لم يحمل متغيراً مفاجئاً للنفس البشرية .

لكن القيم التي دعا اليها اختلفت جذرياً عن القيم الجاهلية فهي محور التغير في الشخصية العربية ، إذ ساعد ألأسلام على تجميع الشتات القبلي وصهره في بودقة واحدة تحمل أسم ألأمة لأنه نظام سياسي جديد .

كما أن الصدمة المفاجئة لأبناء الخليج العربي جعلتهم خاصة الشعراء منهم يشعرون بألأغتراب على اثر ظهور البترول مشابه الى حد ما أصاب ألأنسان الأوروبي على أثر ظهور الثورة الصناعية من تغير وتبدل في حياة ألأوربيين ألأجتماعية وألأقتصادية والسياسية حيث أحس ألأنسان بألأغتراب والضياع والقلق على أثر ذلك حيث تمزقت العلاقات ألأجتماعية وألأنسانية وحلت محلها قيم وعلاقات مادية . وهذا مشابه

تماماً لحياة المجتمعات الخليجية على أثر ظهور البترول وما أصاب المجتمع العربي الخليجي من

تغير في القيم والعلاقات الروحية حيث حلت محلها العلاقات المادية ألأنانية .

هوامش المبحث ألأول :

1- ألأغتراب ، أحمد أبو زيد م 10 مجلة عالم الفكر سنة 1979، الكويت .

2- الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، عبد العزيز المفالح ، دار العودة بيروت ، ص 26 .

3- البترول وأثره في التغيير ألأجتماعي في الخليج العربي ، د. محمد الرميحي ، معهد البحوث للدراسات ، القاهرة .

ألأغتراب ألأجتماعي في شعر خليفة الوقيان :

يعد ألأغتراب احد ألأسباب التي تهدد النسيج ألأجتماعي للمجتمع وتركز بشكل خاص في حالة تعرض الفرد (ألأنسان) الى تجربة الفصل والخلع بطريقة ما عن أفراد مجتمعه وثقافته العامة وقد وصف (قيس النوري) هذه الحالة :(بأن الفردالمغترب قد رفض واقع مجتمعه أم أن مجتمعه هو الذي رفضه أوالحالتين معآ). (1)

وكان ألأغتراب نوعآ من أنواع النفي والطردمن عالم ألأهداف ألأجتماعية، وإذا نظرنا الى التركيب ألأجتماعي للقبيلة سنجد أن البيئة وما يتصل بها حددت الشكل الخاص للنظام القبلي فقسوة الصحراء اوجدت النظام الجماعي المتلاحم وسحقت الفردية من أجل البقاء على هذا النظام .

اما النظام ألأقتصادي (الرأسمالي) - وإن كان في شكله البدائي - أضفى تعزيزآ للطبقة ألأجتماعية فظلت الجموع الفقيرة ترسف في فقرها بينما ألأغنياء يتباهون بالأعداد الكثيرة والوفيرة من مئات ألأبل لكونها المعيار الرئيسي والمباشر لتقدير ثروة الفرد وهكذا الحال فالنظام والأعراف ألاجتماعية وألأقتصادية السائدة تشير الى خطورة الوضع وامكانية تفجيره فكان العامل ألأقتصادي أشد العوامل خطرآ في ارتداد هذه الظاهرة ألأجتماعية الخطيرة في المجتمع العربي بالرغم من الصورة البراقة للمجتمع إلا أن حقيقة ألأوضاع ألأقتصادية كانت بالغة السوء ، كما أن التفاوت الطبقي ألأقتصادي شاسع بين أصحاب النفوذ من المجتمع والسلطة وبين طبقات المجتمع المختلفة وكان سبباً حقيقياً وخطيراً في ظهور ظاهرة ألأغتراب وشيوعها بين الطبقات ألأجتماعية : ((المساواة تحت ظل الحكومات الفاسدة لا تكون إلا مساواة ظاهرية وخداعة لأنها لا تستخدم إلا لإبقاء الفقير في فقره والغني في الوضع الذي اغتصبه ، فالقوانين تنفع دائماً أولئك الذين يمتلكون وتضر دائماً أولئك الذين لايمتلكون شيئاً)) . (2)

وبهذا ظهرت الروابط ألأقتصادية والمصالح المادية المشتركة لتحل بديلاً للأرتباط القبلي وفي ظل هذه الظروف تتولد المشاعر المتصارعة بين مشاعر الخوف والقهر والتسليم بين الثورة والتمرد وعلى ضوء ذلك فقد مثّل لنا (خليفة الوقيان) جيل معاناة الخليج العربي ، ذلك الجيل الذي عاش مرحلة التحول الحضاري بكل ابعاده وأغترب أغترابآ أجتماعياً حقيقياً نتيجة الصورة العامة للتغير ألأجتماعي في منطقة الخليج فلا تختلف تلك الصورة ألأجتماعية الجديدة إختلافاً واسعآ عن بقية مناطق الوطن العربي بل هناك سمات مشتركة عامة تربط بين هذه المجتمعات وعلينا أن نحلل ظاهرة ألأغتراب بدون أن نطبق القوالب الجامدة لأن مجتمعنا العربي مزيج غير متجانس للخصائص الطبيعية وألأجتماعية وألأقتصادية والسياسية . (3)

هو شاعر عربي خليجي من الكويت ولد عام 1941 تخرج من جامعة الكويت 1970 نال شهادة الماجستير من جامعة الكويت قسم اللغة العربية عام 1974 ، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة عين شمس في مصر العربية ، عضو رابطة ألأدباء الكويتيين ، ثم أصبح أميناً للرابطة من أوائل عام 1971 ، وكان سكرتيراً لتحرير مجلة البيان وشغل منصب ألأمين العام المساعد للمجلس الوطني للثقافة والفنون وألأداب .

وهكذا وجدنا ضروباً من الصراع على مستوى الخليج العربي جاءت مرافقة ومصاحبة للتطور الجديد في حياة ألناس وهوالصراع بين العادات الموروثة والقيم الجديدة التي خلفتها ظروف النهضة التجارية ، فهو صراع بين القديم المتأصل والجديد الوافد بين ألأغنياء والفقراء وكان من أهم تلك النتائج بروز قضايا أجتماعية كبيرة في مقدمتها قضية المرأة أبان مرحلة التبدل الجديد الذي أصاب منطقة الخليج العربي حيث كانت تعاني المرأة من العذاب الطويل والحبس في البيت والتقاليد ألأجتماعية الظاغطة فحصلت على أثر الكبت هزات أجتماعية عامة وصحبتها هزات نفسية وعاطفية أصابت ضمير الواقع فحصل تغير في كل جوانب الحياة .

فقد شمل هذا التغير جميع جوانب الحياة لمنطقة الخليج العربي الذي حصل فيها تلاقح بين الثقافتين المحلية والوافدة بسبب المعاناة ألأقتصادية وهذا مشابه لما أحدثه تجمع السفن ألأيرانية والعربية في المغاصات من ألأحتكاك الثقافي تجلى أثره في ألأطار اللغوي المحلي (4).

كما إن الحكومات في هذه المنطقة تبنت سياسة مريحة للرعاية ألأجتماعية بفضل ألأقتصاد الحديث الذي مكنها من تبني ذلك وفي الوقت نفسه مكنها على الصعيد السياسي من أقامة حكومات حديثة بادارات متكاملة وبناء جيش

وأسطول وغير ذلك من مظاهر السيادة الدولية الحديثة . (5)

وإن هذا التبدل العام في حياة الفرد العربي الخليجي لم يقتصر على الجوانب الأقتصادية

وألأجتماعية والسياسية بل أصاب أيضآ الحركة الشعرية ، فالشعر في مرحلة ما قبل ظهور البترول ظل يحاكي الشعر القديم في مواضيعه ومعانيه وصوره لأن الحياة في مرحلة ما قبل التحول لم تختلف كثيرآ عن ظروف الحياة العربية عمومآ والشعربصورة خاصة ولكن بظهور البترول وما رافقه من تغيُر في الحياة ألأجتماعية إنتقل الشعر لمرحلة جديدة بسبب إنعكاس الموقف النفسي والحضاري على الفن الشعري ، إذ تولدت على أثر النقلة أوضاعآ جديدة إنعكست أثارها على الفن الشعري وكان من نتائجها أن الجيل القديم وجد نفسه يعيش مرحلة جديدة ومفاجئة مما صعّب عليه التكُيف مع هذه الظروف الجديدة وبدون شك إن هذا الجيل بقي متمسكآ بالتقاليد القديمة لهيمنتها عليه وهو معايش الحياة الجديدة أي أن القديم يعيش جنبآالى جنب مع الجديد فجاء تعبير هذا الجيل عن الحياة بأحاسيس جديدة ومواقف متطورة للحياة التي تغيرت حوله في نفس أطار الشعر القديم . (6)

وقد عبّر الشاعر العربي (خليفة الوقيان) عن ألأغتراب ألأجتماعي بسبب الظروف ألأجتماعية الجديدة معبرآ عما يؤرق نفسه فيقول في قصيدته (زيف) : (7)

سرتُ بألأمس كئيبآ متعبآ
مجهد القلب بدرب الحائرين
حيثما قلبتُ طرفي لاأرى
غير زيف غشيت منه العيون
ووجوهٌ مسح العار بها
عارهُ من خجلٍ في العالمين

فالشاعر يعاني من ألأغتراب ألأجتماعي الذي سببه الزيف ألأجتماعي الذي لاحظه وعاشه في مجتمعه الجديد فهرب منه لأنه لا يمتلك حسآ حضاريآ كشف لنا به عن نظريته ألأجتماعية وقلقه من هذا الذي سماه زيفآ حيث غلب النفاق ألأجتماعي بين الناس والكذب والنفاق لدرجة قد إمتلأ به المجتمع العربي الخليجي ، ولهذا الزيف يرجع إغترابه وقلقه وضياعه لكونه من النفوس المتحضرة الحساسة ، وهذا الزيف ألأجتماعي لم يكن منحصرآ في البيئة الخليجية فقط بل أيضآ في بيئته العربية عامة وقد تأتى هذا الزيف من الظلم الذي سبب الشقاء للطبقات الفقيرة وبهذا قد عبّر (الوقيان) عن معاناة الفقراء والمظلومين في بيئته لدرجة قد أدمج ذاته بذوات ألاخرين وإنتقل من ألأنا الضيقة (الذات) الى النزعة ألأنسانية العامة والواسعة فجعل من قضية هؤلاء الفقراء

هي قضيته التي تؤرقه وتسبب له ألأغتراب فأخذ يبحث عن عالم مثالي ملئه الحب والسعادة ليظم الجميع .(8)
فيقول بهذا المعنى
وبقلبي سحائب من حنان
تمطر العطر والهوى إن غرد
غير إني وإن عشقتك غضآ
أخضر العود ناعمآ يتأود
لا أريد الجمال وردآ بخديك
ولا فاحمآ من الشعر أسود
الهوى في دمي ضياع وبعد
وإرتحال هو عالمٌ يتجدد

كما نجد أغترابآ سياسيآ الى جانب اغترابه ألأجتماعي ويرجع أغترابه السياسي الى الزيف السياسي في البلاد العربية فالشاعر ذو حس قومي وأنساني فألأحزان السياسية قد أطبقت عليه وقد عبّر عن ذلك أفضل تعبير في قصيدته (في ذكرى وعد بلفور) فقال : (9)

كل عام لنا لقـــــــاء جديد
وهتافٌ وصيحةٌ ونشيد
وحنين يكاد يـــــخترق الصد
رُ وشوق ولوعة وصدود
وتمر السنون وهي عجاف
حقبة تنقضي وذكرى تعود
غير أني وقد خبرت الليالي
والليالي لكل فجرٍ شهود
قد رأيت الصباح في جرف كوخ
يانس فوقه تصيح الرعود
يمضغ الجوع وشقاء ويسمو
حين تقوى به الرياح السود
قد رأيت الصباح في كل عين
صلبتها على طريق الوعود

وهذه الغربة لدى شاعرنا (الوقيان) هي غربة كل عربي شريف يحس بمأساة الشعب العربي الفلسطيني .(10)

فهذا ألأغتراب السياسي الذي وجدناه عند شاعرنا الخليجي هو أغتراب مركب أجتماعي وسياسي في أنواعه يرجع الى الزيف ألأجتماعي والسياسي الذي أبتلت به ألأمة العربية فلم تكن النوايا العربية مخلصة ولم يكن العزم صادقآ لتحرير ألأرض فواقعنا مخجل ، إذ لايزال العدى محتلين لأرضنا و يذكرنا أغتراب (الوقيان) بأغتراب الشاعر اليمني (عبد الله البردوني) الذي عبّر عن هذا الزيف بقوله :

بدمي السؤال حياءٌ حين نسأله
كيف إحتفت بالعدى (حيفا) أو النقب
ماذا فعلنا ؟ غضبنا كالرجال ولم
تصدق ، وقد صدق التنجيم والكتب
ماذا أُحدث عن (صنعاء) يا أبت
مليحة ... عاشقاها السل والجرب

فالواقع العربي مزرٍ ومخجل فهو يكذب السيف ويصدق التنجيم فالوقيان والبردوني مغتربان في داخلهما وأغترابهما كان رد فعل على العجز السياسي لمجتمعهم خاصة قبل هزيمة (1967) ولعدم ثقتهم بالزعماء السياسيين في تلك الفترة الذين هيمنوا على المجتمع العربي ، وبهذا أصيب

المجتمع العربي بالشلل السياسي بسبب عدم السيطرة على المصير ألأجتماعي للأنسان العربي ونتفق مع قول العالمين ألأجتماعيين طوسون وهورتون :

" أن ألأغتراب السياسي يفهم على أنّه رد فعل بعجز نسبي متصور من التأثير والسيطرة على مصير ألأنسان الاجتماعي " . (11)

فسجل (الوقيان) مأساة السعب الفلسطيني حينما طرد من أرضه ولم يكتف بتسجيل ذلك والذي أتخذ من المأساة طريقآ صور فيه أماله في مستقبل مشرف يُزال فيه الظلم ويمحو فيه ألأبناء بصمة العار وهذه المزاوجة بين المأساة وألأمل تدلنا بأن قصائد الشاعر نقلته من القلق الغامض الى القلق المحدد حسبما أطلقت عليه الدكتورة (نورية الرومي) (12) ز وقد سجل تلك المأساة في معالجته بقصيدة (في ذكرى وعد بلفور) في أبياتها التي ذكرناها في الصفحات السابقة.

هوامش المبحث الثاني :

1- مجلة عالم الفكر ،المقال (ألأغتراب أصطلاحآ و مفهومآ) قيس النوري ، ص 32

2- ألأغتراب سيرة ومصطلح ، محمود رجب ص 82 .

3- مجلة الثقافة (ألأغتراب في الفكر الماركسي) د.شاكر نوري ، ع 43 أذار - نيسان 1981، ص 24 .

4- البترول وأثره في التغير ألأجتماعي في الخليج العربي ، د. محمد الرميحي ، ص 62 .

5- البترول وأثره في التغير الأجتماعي في الخليج العربي ، د. محمد الرميحي ، ص 61 ويراجع كتابه الجذور ألأجتماعية للديمقراطية في مجتمعات الخليج المعاصر ، ص 20 يراجع كتابه قضايا التغير السياسي وألأجتماعي في البحرين ، ص 36 .

6- الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد و التطور ، د. نورية الرومي ، ص 487 .

7- ديوان 0المبحرون مع الرياح) خليفة الوقيان ، ص 27 .

8- المصدر نفسه (رسالة خليفة الوقيان) ص 133- 135 .

9- المصدر نفسه ، خليفة الوقيان من ذكرى وعد بلفور ، ص 145 .

10- أنظر : مجلة المعرفة السورية ، م 2 ، ع164 تشرين الثاني سنة 1975 (ألأغتراب الفلسطيني) ، د. محمد الزايد، ص 105 - 121 .

11- مجلة المعرفة السورية ، م2 ع 163 سنة 1976 (ودخل ألأنسان مصيدة أغترابه) ، مجاهد عبد المنعم مجاهد ، ص 53 .

12- الحركة الشعرية في الخليج بين التقليد والتطور د. نورية الرومي ، ص 429 .

المصادر والمراجع :

1- ألأتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد القادر القط ، كمتبة الشباب ، القاهرة 1968 .

2- البترول ولأثارة في التغير الاجتماعي في الخليج العربي ، محمد غانم الرميحي ، معهد البحوث والدراسات .

3- الجذور الاجتماعيه للديمقراطيه في مجتمع الخليج المعاصر ، د . محمد الرميحي ، معهد البحوث الدراسات .

4- الحركة الشعريه في الخليج العربي الحديث ، د .نوريه الرومي ، الكوية 1980 .

5- الحنين والغربه في الشعر العربي ، د . ماهر حسن فهمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1979

6- دراسات في النقد الادبي ، د . احمد كمال زكي ، دار الاندلس ، ط2 ، حزيران – يوليو 1980 .

7- ديوان خليفة الوقيان (المبحرون مع الرياح) الكويت

8- شعر ناجي (الموقف والاداة) ، د . طه وادي ، القاهره مصر .

9- الشعر كيف نتفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ، ترجمة محمد ابراهيم الشوش ، بيروت .

10- الشعر العربي المعاصر ، قضاياه الموضوعية والفنية والمعنوية ، د . عز الدين اسماعيل 23 دار العربي

11- الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، عبد العزيز المقالح ، دار العودة ، بيروت .

12- الصورة الفنية في الموروث النقدي والبلاغي ، د . جابر عصفور ، دار الثقافة للطباعة ، القاهرة 1974 .

13- ضرورة الفن ، ارنست فيشر ، ترجمة اسعد حليم ، النهضه العامه للتاليف والنشر ، القاهرة ، 1979 .

14- فن الشعر ، د . احسان عباس ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت 1955 .

15- قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين ، د . محمد الرميحي ، معهد البحوث والدراسات .

16- مبادئ النقد الادبي ، رتشاردز ، ترجمة مصطفى بدوي ، دار المعارف ، القاهرة 1971 .

17- مقدمة في نظرية الادب ، عبد المنعم قليم . بيروت .

18- النظيرة الرومانتيكية في الشعر (سيرة ادبية) كولردج ، ترجمة عبد الحليم حسان بيروت . ط1 دار المعارف القاهرة 1971.

المجلات :

1- " الاغتراب " احمد ابو زيد ، مجلة عالم الفكر ، م 10 الكويت 1970 .

2- " الاغتــراب اصــطلاحا ومفهومــا " ، قيس النوري ، مجلة عالم الفكر ع 79 .
3- " الاغتراب في الفكر الماركسي " مجلة الثقافــة . د . شــاكر النــوري ، ع 43 ، نيسان 1981 .
4- " الاغتــراب الفلســطيني " . د . محمــد الزايــد ، مجلــة المعرفــة الســورية م2 ، ع164 . اكتوبر م2 ، 1975 .
5- (ودخل الانسان مصيدة اغترابة) عبد المـــــنعم مجاهـــد . م2 ع176 ، ت2 . اكتوبر 1976 .
6- (سطور في رسالة الى ولدي) خليفة الوقيان ، مجلة الشعر المصريه ، يوليو 1978 .
7- (الشــعر الكــويتي الحــديث بــين التقليــد والتجليد) د . ابراهيم عبد الرحمن مجلة البيان ع 171 لسنة 1978 .
8- مجلــة البيــان ع206 ، ايــار ، 1983 (مقالات نقديه في الادب الكويتي) اعداد وتقديم . د . حسن فتح الباب ،
9- مجلة البيان العدد 198 ، يوليو ، 1978 (خليفة الوقيان والبحث عن عالم مثالي) د . عبد الرحمن عبيد .
10- مجلــة البيــان العدد 73 نيســان 1978 (خليفة الوقيان) والبحث عن عالم مثالي د . عبد الرحمن عبيد .
مجلــة البيــان 178 لســنة 1978 (خليفــة الوقيــان والبحث عن عالم مثالي) د . عبد الرحمن عبيد .